سورة الناس

مكية، وقيل: مدنية، وآياتها ٦ [نزلت بعد الفلق]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾

قرئ: قل أعوذ، بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام، ونحوه. ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً﴾ [البقرة: ٢٦٠] فإن قلت: لم قيل[1] ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ مضافًا إليهم خاصة؟ قلت: لأنّ الاستعاذة وقعت من شرّ الموسوس في صدور الناس، فكأنه قيل: أعوذ من شرّ الموسوس إلى الناس بربهم الذي تملك عليهم أمورهم، وهو إلههم ومعبودهم، كما يستغيث بعض الموالي إذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم ووالي أمرهم. فإن قلت: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ ما هما من ربّ الناس؟ قلت: هما عطف بيان، كقولك: سيرة أبي حفص عمر الفاروق. بين بملك الناس، ثم زيد بيانًا بإله الناس، لأنه قد يقال لغيره: رب الناس، كقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] وقد يقال: ملك الناس. وأمّا ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ فخاص لا شركة فيه، فجعل غاية للبيان. فإن قلت: فهلا اكتفى بإظهار المضاف إليه الذي هو الناس مرّة واحدة؟ قلت: لأنّ عطف البيان للبيان، فكان مظنة للإظهار دون الإضمار ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ اسم بمعنى الوسوسة، كالزلزال بمعنى الزلزلة. وأمّا المصدر فوسواس بالكسر كزلزال. والمراد به الشيطان، سمي

---

(١) قال محمود: «إن قلت: لم أضاف اسمه تعالى إليهم خاصة وهو رب كل شيء... إلخ» قال أحمد: وفي التخصيص جرى على عادة الاستعطاف، فإنه معه أتم. عاد كلامه قال: وإله الناس عطف بيان لملك الناس. أو كلاهما عطف بيان للأول، والثاني أبين: لأن ملك الناس قد يطلق لغير الله تعالى، وأما إله الناس فلا يطلق إلا له عز وجل، فجعل غاية للبيان، وزيد البيان بتكرار ظاهر غير مضمر؛ والله سبحانه وتعالى أعلم. هذا ما يسر الله من القول، وإني أبرأ إلى الله تعالى من القوة والحول، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه، لأنها صنعته وشغله الذي هو عاكف عليه. أو أريد ذو الوسواس. والوسوسة: الصوت الخفيّ. ومنه: وسواس الحلي. و﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ الذي عادته أن يخنس، منسوب إلى الخنوس وهو التأخر كالعوّاج والبتات[1]، لما روي عن سعيد بن جبير: إذا ذكر الإنسان ربه خنس الشيطان وولى، فإذا غفل وسوس إليه ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ﴾ يجوز في محله الحركات الثلاث، فالجر على الصفة، والرفع والنصب على الشتم، ويحسن أن يقف القارئ على ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ ويبتدئ ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ﴾ على أحد هذين الوجهين ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ بيان للذي يوسوس، على أن الشيطان ضربان: جني وإنسي، كما قال ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١٢] وعن أبي ذرّ ـ رضي الله عنه ـ أنه قال لرجل: هل تعوذت بالله من شيطان الإنس؟ ويجوز أن يكون (من) متعلقًا بيوسوس، ومعناه: ابتداء الغاية، أي: يوسوس في صدورهم من جهة الجنّ ومن جهة الناس، وقيل: من الجنّة والناس بيان للناس، وأن اسم الناس ينطلق على الجنة، واستدلّوا (بنفر) و (رجال): في سورة الجن. وما[2] أحقه؛ لأن الجن سموا «جنا» لاجتنانهم، والناس «ناسًا» لظهورهم، من الإيناس وهو الإبصار، كما سموا بشرًا؛ ولو كان يقع الناس على القبيلين، وصحّ ذلك وثبت: لم يكن مناسبًا لفصاحة القرآن وبعده من التصنع. وأجود منه أن يراد بالناس: الناسي، كقوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٦] وكما قرئ: ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩] ثم يبين بالجنة والناس؛ لأنّ الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله عزّ وجلّ.

عن رسول الله ﷺ: «لقد أنزلت عليّ سورتان ما أنزل مثلهما، وإنك لن تقرأ سورتين أحبّ ولا أرضى عند الله منهما» (١٨٣٥) يعني: المعوّذتين. ويقال للمعوّذتين: المقشقشتان.

قال عبد الله الفقير إليه: وأنا أعوذ بهما وبجميع كلمات الله الكاملة التامة، وألوذ

١٨٣٥ ـ قال الزيلعي (٤/ ٣٤١): غريب بهذا الإسناد قال الحافظ: لم أجده بهذا اللفظ. وأوله في مسلم بمعناه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه «أن النبي ﷺ قال له. ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ وآخره في ابن حبان من حديث عقبة بمعناه. وأيضًا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لأن يقرأ سورة أحب إلى الله ولا أبلغ من قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس، فإن استطعت أن لا تدعهما في صلاة فافعل». انتهى.

---

(١) قوله: «كالعواج والبتات» بائع العاج، وبائع البتوت: وهي ضرب من الثياب. (ع)

(٢) قوله: «وما أحقه» في الصحاح: حققت الأمر: واحتققته: إذا تحققته وصرت منه على يقين. (ع)

بكنف رحمته الشاملة العامّة من كل ما يكلم الدين، ويثلم اليقين، أو يعود في العاقبة بالندم، أو يقدح في الإيمان المسوط باللحم/ ٢/ ٢٧٧أ والدم[١]، وأسأله بخضوع العنق وخشوع البصر، ووضع الخدّ لجلاله الأعظم الأكبر، مستشفعًا إليه بنوره الذي هو الشيبة في الإسلام، متوسلًا بالتوبة الممحصة للآثام، وبما عنيت به من مهاجرتي إليه ومجاورتي، ومرابطتي بمكة ومصابرتي، على تواكل من القوى، وتخاذل من الخطا، ثم أسأله بحق صراطه المستقيم، وقرآنه المجيد الكريم، وبما لقيت من كدح اليمين وعرق الجبين، في عمل الكشاف عن حقائقه، المخلص عن مضايقه، المطلع على غوامضه، المثبت في مداحضه، الملخص لنكته ولطائف نظمه، المنقر عن نقره وجواهر علمه، المكتنز بالفوائد المفتنة التي لا توجد إلاّ فيه، المحيط بما لا يكتنه من بدع ألفاظه[٢] ومعانيه، مع الإيجاز الحاذف للفضول، وتجنب المستكره المملول؛ ولو لم يكن في مضمونه إلاّ إيراد كل شيء على قانونه، لكفى به ضالة ينشدها محققة الأخبار، وجوهره يتمنى العثور عليها غاصة البحار، وبما شرفني به ومجدني، واختصني بكرامته وتوحدني: من ارتفاعه على يدي في مهبط بشاراته ونذره، ومتنزل آياته وسوره، من البلد الأمين بين ظهراني الحرم، وبين يدي البيت المحرّم، حتى وقع التأويل، حيث وجد التنزيل: أن يهب لي خاتمة الخير، ويقيني مصارع السوء، ويتجاوز عن فرطاتي يوم التناد، ولا يفضحني بها على رءوس الأشهاد؛ ويحلني دار المقامة من فضله، بواسع طوله وسابغ نوله، إنه هو الجواد الكريم، الرءوف الرحيم.

---

(١) قوله: «المسوط باللحم والدم» أي: المخلوط. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قوله: «من بدع ألفاظه» في الصحاح «شيء بدع» بالكسر: أي مبتدع. وفلان بدع في هذا الأمر، أي: بديع. (ع)